

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى سيدنا عيسى، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين.
﴿يَقْفَهُ أَقُولِي﴾ (٢٨) [ظه-٢٨].

وسبحان الذى شرف اللغة العربية بنزول القرآن الكريم بها. وبعد:

فهذه مجموعة من المقالات والبحوث كَتَبْتُ معظمها خلال هذين العامين المنصرمين (١٤٢٢-١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢-٢٠٠٣م) وسميتها (مُرُونَةُ الْعَرَبِيَّةِ - وَعَقْلَانِيَّتُهَا وَأَسْبَابُ خُلُودِهَا). ونهجتُ فيها نهجا يختلف عن نهج الكتب «الأكاديمية» التى تقوم على منهج «تقليدي» يقلد فيه كلُّ خَلْفٍ سَلْفَهُ، من غير أن يُضِيفَ شيئا جديدا. إن دأب هذه الكتب «المدرسية» أن تَجْمَعُ وتُصَنَّفَ حشدا ضخما من المعلومات يستهلكُ جُهْدَ الباحث، من غير أن يضيف شيئا، وفى واجهة هذا الكتاب رسائل الدكتوراة التى يحذو فيها كلُّ باحث حَذُوً من سبقه، بل يهتمُّ المشرف - عادةً - على رسالته بتفصيلات «المنهج» وليس «بالفكر»، ولذلك يعنُّ لك أن تقرأ رسالة (حتى بعد أن تُطَبِّعَ فى كتاب) فإذا هى خِلُوٌ من الفكر تقوم على حشد هائلٍ من المعلومات إلى حَدِّ «التَّخَمَّة»! (ويجوز.. التَّخَمَّة).

ولو أخذنا كتابا من أشهر كُتُبِ فقه اللغة الحديثة.. وهو كتاب الدكتور صبحي الصالح العالم الشهير - رحمه الله - «دراسات فى فقه اللغة».. لو وجدناه يحاول أن يُصنِّفَ وأن يستوعب آراء القدامى من دون أن يُضِيفَ شيئا يُذكر. مثلا: فى الباب الأول - يتحدث عن: فقه اللغة - نشأته وتطوره. وفى الباب الثانى - يتحدث عن: العربية بين أخواتها الساميات. وفى الباب الثالث - يتحدث عن: خصائص العربية الفصحى. مثل: مقاييس الفصحى، وظاهرة الإعراب، ومُناسبة حروف العربية لمعانيها، والمُناسبة الوضعية، وأنواع الاشتقاق، والنحت أو الاشتقاق الكُبْرَة^(١)،

(١) أنا أراه الاشتقاق الأصغر. لأنه لا يُستعملُ إلا قليلا. نظرا لما فيه من صعوبة، لأنه نحتٌ لكلمة واحدة =

والأصوات العربية وثبات أصولها، واتساع العربية في التعبير، وتعريب الدخيل. وفي كل ذلك يتكئ على من سبق.

ولو تصفحت عشرة كتب في فقه اللغة لوجدتها تعرض إلى هذه الموضوعات، دون أن يكون لأحدٍ منها رأيٌ مُبتكر.. إن بعضها ينقل الأفكار والمعاني عن بعض، مع اختلاف الصياغة، فكل يعبر بلغته عن هذه المعاني والأفكار. أمّا المنهج العام فواحد عندهم كلهم. إلا قلة، منهم: إبراهيم مصطفى - وإبراهيم أنيس، على الرغم من أن آراءهما فيها تطرف. ولكن الذي يكتب مقالات وبحوثا تكون «رد فعل» واقعيًا في التعامل مع اللغة أو مع كتابات الآخرين (كما فعلت أنا في هذا الكتاب) لا يكتفى، غالبًا، بنقل أفكار السابقين بل يضيف أفكارًا وحلولًا جديدة، معتمداً - إلى جانب المعاجم - على مبادئ فقه اللغة وقواعد الصرف، بحيث «يُخرِّج» تخرجات مُبتكرة. مثلاً في هذا الكتاب.. في مقالة (الفصحى والحضارة وجريدة الرأي) رددت على من ادعى صعوبة الفصحى، وعلى من ادعى أنها ستنتهي إلى ما انتهت إليه الجرمانية، فقد أمست الجرمانية خالية من الإعراب.

- وفي مقالتى التى رددت فيها على المرحوم السكاكيني الذى قدم تصورًا سانجا لمرحلة تطوّر اللغة العربية.. بينت أن العربية لم تأت على مراحل؛ مرحلة للأفعال وأخرى للأسماء. وفي هاتين المرحلتين لم تكن (مُعربة)، ولكن أُعربت في مرحلة ثالثة. ذلك.. لأن اللغة كائن عضوى ينبثق عن كائن عضوى حي، هو الإنسان. ولهذا فهي تتولّد، ككل كائن حي، ذات نسيج مُتكامل.. اللفظ والمعنى، والتركيب والحركات كلها تنبثق جملةً واحدة.

- وهكذا.. فى سائر المقالات والبحوث.. لم أكتب شيئاً إلا إذا رأيت أنى أضيف به جديداً إلى التفقه بالعربية الفصحى.

- وهذا.. شأن يختلف عن شأن البحوث «الدرسية» التى يكتبها المصنّفون بعقل «بارد». وهذا البرود هو أحد الأسباب التى تجعل البحث خالياً من الإبداع أو من الرأى الجديد، أو النظرات الشخصية الجادة - التى تحاول أن تقدم جديداً.

= من كلمتين أو أكثر مما يخفى أصول الكلمات. وذلك يؤدى إلى غموض المعنى الجديد. والاشتقاق الكبار فى رأى يجب أن يكون هو الاشتقاق الرئيسى الذى ينصرف إليه الذهن عند ذكر كلمة (الاشتقاق). ومثاله: كتب كاتب مكتوب كتابة مكتبة مكتب كتيبة.. الخ. لأنه هو الاشتقاق الرئيسى فى تولد الألفاظ الجديدة من الألفاظ القديمة. أما النحت فهو الاشتقاق الأصغر، لأنه الأقل استعمالاً.

— إن الذى يمارس النقد اللغويّ كالذى يمارس النقد الأدبيّ.. يَصْعُبُ أَنْ يُدْعَى دُونَ أَنْ يقرأ مَنَاهِجَ النِّقْدِ — اللغويّ أو الأدبيّ، أو كثيرا منها، ثم.. يستعلى عليها جميعا، فيأخذ ما يُناسب موضوعه ويترك ما لا يُناسبه، من دون أن «يُحشَر» نفسه داخل قالب مدرسة بعينها. أذكرُ قَبْلَ بضع سنوات، أَنَّ أَحَدَ الشعراء أهدانى ديوانه، وقد أقبَلْتُ عليه وأنا أنوى أَنْ استخلصَ القِيمَ الأدبيّةَ التي تجلّت فيه، واستشهدَ منه على كلِّ قيمة ببضعة أبيات^(١)، بيَدِ أنْسى عندما بدأتُ القراءةَ وجدتُني لا أحتاج إلى أَنْ أتجاوزَ القصيدةَ الأولى منه، لكي أُكْتَبَ مقالةً. فقد كانت هذه القصيدة غاصّةً بالملاحظات «السُّلبِيّة» فوجدتُ في ذلك فرصةً لأعرّف الشاعر كيف يتعاهد شعره حتى لا يخرج من القصيدة إلا وقد اطمأن أنه كتب شعرا مقبولا. وهل في ذلك من عجب؟ أما كان زهيرٌ يُحككُ قصيدته حولا كاملا، قبل أن يُذيعها في الناس؟ ولذلك سُميتُ قصادُهُ (الحواليات). وتصادفَ أَنَّ أحدَ الأساتذة كان قدّمَ لهذا الديوانَ ومَدَحَهُ فغاظتُهُ ملاحظاتي. فكتبَ مقالةً يرُدُّ عليّ فيها، يرى فيها أن النِّقْدَ لا يستقيم على الطريقة التي — أنا — سلكتُ، وإنما يجب أن نبدأ بالعموم ثم ننتهي إلى الخُصوص حسبَ نظريّة «الجسّالت»! بيَدِ أنسى رددتُ عليه.. وأبنتُ له أن هذا المنهج الذي يراه، يمكنُ أن يُطبَّقه هو على تلاميذه الذين ستتشبّهت أفكارُهُم ويضلون إذا لم يتبعوا «منهجاً» مُحدّدا صارما.. أما من مضى عليه، وهو يمارس النِّقْدَ ثلاثين عاما وأزيدَ، فلا يجوز لك أن تحشّره في قالبٍ نظريّة.. ما، بل هو يتصرّف تبعا «لفتاح» النصّ الذي يُعالجه.. فقد يبدأ من الكلِّ إلى الجزء، وقد يبدأ من الجزء إلى الكلِّ. بل قد يقف عند الكلِّ فلا يتجاوزُهُ أو عند الجزء فلا يتجاوزُهُ. لأن الاختيارات أمامه كثيرةٌ ومفتوحة لا يرجح أحدها على غيره إلا طبيعة النصّ، وليس أيّ نظريّة نقدية سابقة. ومثل الأدب اللّغة.. فطبيعة الموضوع المُعالج هي التي تُوجّه إلى الطريقة التي يُعالج بها، وإلى المراحل التي يُدخلُ إليه منها.

— أما نظريّة (الجسّالت) — فهي تصلح إلى حد كبير أن تُطبق على الأشياء التي لها نموذج واحد، أو قوام واحد. كالإنسان، وكلّ نوع من الحيوانات. فالإنسان له هيكل عامّ واحد. وكل نوع من الحيوان — كالأسد، والجمال.. — له هيكل عامّ واحد. ولذا.. فنحن يسهل علينا أن نُميّز من بعد كيلويّن مترين — مثلا — أن المقبل، أو الواقف هو «إنسان» أو — أسد، أو فيل». ثم نتعرفه — أكثر — كلما اقترب، حتى نعرف أنه رجل أو امرأة. فإذا دنا أكثر، وأصبح على بُعد أمتار عرف أنه سعيد، أو سليم. إذا كنت تعرف سعيدا هذا، وسليما هذا.

(١) إلى الآن.. ألفت سبعة كتب في النقد الأدبي وأربعة في فقه اللغة أحدها هذا الكتاب.

بيدَ أنّ الكلمات ليس لها هيكل عامّ واحد، فكلّ كلمة.. ولها هيكلها الخاصّ بها. ولهذا.. فشلت نظرية (الجسّاتلّت) فشلا ذريعا، عندما طُبِّقت في (تعليم اللغات).

- ومثل اللغات.. الأدب؛ فحتى القصيدة - العمودية - مع أن أبياتها تتشابه في الشكل العامّ.. غير أن كل بيت له كيانه الخاصّ؛ فكلمات كل بيت تختلف عن كلمات البيت الآخر، ومعناه مُفارق لعنى البيت الآخر، وحتما موسيقاه «الداخلية» هي ذات نغم خاصّ. فكيف بقصيدة التفعيلة التي - لكل بيت فيها - شكل خاصّ، وطول خاصّ؟ بل - ذلك ينطبق على المقالة، والقصة، والرّواية؛ فليس من مقالة تناظر مقالة، وليس من قصة تشابه أخرى. وليس من رواية تشابه رواية.. بل - إذا كان الاختلاف في الهيكل قائما بين الكلمات.. فهو أشدّ وأعقد في الأعمال الأدبية، لأن الأعمال الأدبية أكثر تعقيدا عشرات المرّات من الكلمات. ومن هنا.. فالتفكير بنقد الأدب بمنهج نظرية (الجسّاتلّت) عمى فكريّ، وقتل للأدب والنقد - معا.

- وقد قسّمت هذا الكتاب أربعة أقسام - يسبقها «تمهيد»، ويتبعها «خاتمة» قصيرة. وهذه الأقسام هي:

١ - كيف يتعلّم الإنسان اللّغة؟

٢ - اللّغة العربيّة الفصحى.. لغة إلهاميّة.

٣ - التعرّف^(١) على عبقريّة اللّغة العربيّة الفصحى - من خلال الاشتقاق، وتوليد المعاني.

(١) تعرّفه، تعرّف عليه، تعرّف إليه - بعضُ اللّغويين يقولون: «تعرّف الشيء»، ولا يجوز غير هذا النسق مع «تعرّف» كتعرّف عليه أو تعرّف له أو إليه. قلت: الوجوه الثلاثة صحيحة. ولكن لكل معنى خاصا.

- فما هي هذه المعاني؟

- إذا قلت: تعرّفْتُ الشيء، فمعنى ذلك أنك عرّفته بصفاته، سواء سبق لك أن رأيته، وجرى على صفاته لاحقا تغيير، أم لم يسبق لك أن رأيته. قال الشاعر: (وقالوا: تعرّفها المنازل من بني - وما كل من وافى مني أنا عارف). أي: اعرفها من صفاتها، أو وبعد غيابك عنها وقتا، حتى طرأ تغيرٌ على صفاتها. ومثل الأشياء.. الأشخاص.

ولكن، متى نقول: تعرّف عليه؟

- عندما يلقي زيدٌ سعيدا، فيطلب زيدٌ من سعيد أن يُعرّفه بنفسه، فيقوم سعيدٌ بذلك.. فقد تعرّف زيدٌ عليه.

- ومتى نقول: تعرّف إليه؟

- عندما نعكس الوضع السابق: يلقي زيدٌ سعيدا، فيقول زيدٌ: أنا أعرّفك بنفسى، أنا زيد. أعمل كذا وكذا، وإذا قابلت وأنا من بني فلان. بهذا يكون زيد قد عرّف نفسه لسعيد، أي: تعرّف إليه. ويجوز أن يقول: استعرف إليه. تقول: أنت فلانا فاستعرف إليه حتى يعرفك، أو فتعرّف إليه حتى يعرفك. فاستعرف وتعرّف تؤديان نفس المعنى تقريبا.

على هذا إذن.. تعرّفه، وتعرّف عليه، وتعرّف إليه.. كلها صحيحة. ولكن لكل منهنّ معنا خاصا، يستدعيه وضع خاصّ.

٤ - اللّغة العربيّة والتعريبُ - والنظرُ المعاصرُ فيها.

- بدأنا بالطريقة التي يتعلّم بها الإنسان اللّغة، وبكيفية تخزينها في الدّماغ، وأن الإنسان يستطيع بالنّماذج اللّغوية القليلة التي يُحصّلها.. أن يُولّد - على غرارها - ما لا يُحصى من الجُمَل. لأن «التّفقّه» في ذلك.. مُقدّم على كل معرفة أخرى عن اللّغة.

- ثم.. ثنّينا بمعرفة طبيعة اللّغة الفُصحى، لأنه لا بُدّ من معرفة أن الفُصحى، وإن كانت حقيقة تشكّلها في الدّماغ.. لا تختلف عن اللّغات الأخرى، غير أن ذلك لا يُقلل من التأكيد بأنها «إلهامية»^(١)، لأن المعجزات كلها.. لا تتم خارج إطار «قوانين» فِعَل الأشياء الطبيعية^(٢).. كل ما في الأمر أن الفِعَل المعجز - مكثّف - عشرات المرات (وربما مئتاها) مُقارنةً بقوة الفِعَل العاديّ، أو كثافته. ولهذا.. فالفُصحى تجرى على القوانين نفسها التي تتكوّن بها اللّغات، ولكنها ذات فِعَل أكثف. وهذا سبب خلودها، وتحوّل غيرها من لغات الدُّنيا إلى صورة لغة أخرى، كلّ بضعة قرون.

- والتقريرُ بأنّ الفُصحى إلهامية.. يقتضى التعرف على عبقرية اللّغة العربيّة، التي تُعطينا اليقين أنها لغة تفوق غيرها من اللّغات حقاً، فهي إلهامية ولذا.. تناولنا جانباً من عبقريتها، وهو قدرتها الفائقة على الاشتقاق، وتوليد المعاني.

- ثم.. أنهينا هذه الأقسام الأربعة.. بما يُشير إلى أن من حياتها، وقدرتها على النّموّ والتجديد.. أنها قادرة على التعريب من اللّغات الأخرى، بسهولة ويُسر وإحكام عبارةً، ومعنى.

- فتكاملت بذلك كلّ.. صورة للفُصحى.. تُنفع أنها لغة خالدة.. ألهمها الله تعالى العرب، لكي تكون مؤهّلة لحمل الكتاب الخالد - القرآن المجيد.

- ولقد كان عنوان التمهيد (فَرْضِيَّةُ الشُّعوب السَّامِيَّةِ، واللّغات السَّامِيَّة - فَرْضِيَّةُ خُرَافِيَّةُ، لا أصل لها) - قَصْدَتْ مِنْهُ أَنْ أَبْدَأُ الْمُتَلَقِّي بِصَدْمَةِ تَوْقِظُهُ عَلَى أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْبَاحِثِينَ مِنَ الْعَرَبِ وَالْمُسْلِمِينَ إِنَّمَا يَتَلَقَّوْنَ مَا يَقُولُهُ الْمَسْتَشْرِقُونَ - بَغْفَلَةً - وَدُونَ تَدَبُّرٍ،

(١) كتبت ثلاثة بحوث في مجلة (هذي الإسلام) - الأردنية (الأعداد - ٥ - ٦ - ٧) لسنة - ٢٠٠٥م - بينت فيها - بالدليل - أن اللغة العربية - إلهامية. وقد أوردت هذه البحوث الثلاثة، في القسم - الثاني - من هذا الكتاب.

(٢) فصلت هذا في كتاب لي مخطوط، مكون من خمسة مجلدات، عنوانه: [العصمتان] - فنّدت فيه كثيراً من الأخبار المكذوبة - على - الرسول المعصوم - وهو يدعو، في مكّة المكرّمة.

أو تَفْهُمُ أو تَفْكَرُ. فهذه الفَرَضِيَّةُ الخُرَافِيَّةُ رَدَّدَها كَلَّ الكُتَّابُ الذين عرضوا إلى أى موضوع له علاقة بأصل اللُّغة، أو أصل العرب..! - مع أنها - كما ترى فى البحث نفسه - ليس لها ولا دليل واحد يَسْتُنْدُها. إنها فرضية أطلقها هاوٍ (ولا أقول: عالم) نمساوى اسمه «أوغست لوديك شلوتسر» عام ١٧٨١م - واستند فى - افتراضها - على التوراة المَحْرَفَة، لأنها تذكر أن نوحاً - عليه السلام - خَلَفَ ثلاثة أبناء هم: سامٌ، وحامٌ، ويافثٌ. فالعربُ - سَكَانُ الجزيرة العربيَّة، والهلال الخصيب، واليهودُ - بزعمِهِ - هم من أبناء «سام» هذا. يَبْدُ أن هذا الزَّعم لم يُؤَيِّدْ، ولا فى أيِّ مكانٍ آخر، غير التوراة المَحْرَفَة. - وقد توالى المُستشرقون على تكرار هذا الزَّعم، حتى لا يجرحوا مشاعر اليهود، بل - حتى يَدْعَمُوا مقولة «السَّامِيَّة» التى تَحُدُّمُ اليهودَ - وَحَدُّمُ - ثم.. تبعهم - للأسف الشديد - الكُتَّابُ من هؤلاء العرب والمسلمين - الذين «يُفَكِّرون» ليفهموا، ويُخزِّنوا فى الذَّاكرة - ولكنْ لا «يَتَفَكَّرُون» ليضيفوا إلى الفِهم والتَّخزين.. البدء بالشكِّ - والتعمق - وتميِّز السمعين من الغث..

- وهذا التمهيدُ.. ليس «مُلْتَحِماً» بمادة الكتاب التحام السبب بالنتيجة، وإنما هو قائم على علاقة - القاعدة - بما يُبنى عليها. وهى لها هدفان رئيسيان - الأول.. أن يتحسَّس كُلُّ باحث رأسه عندما يقرأ خبيراً، أو يقرأ فِكْراً فيسأل - بحساسية عالية - أهذا الخيرُ له مجال فى الصِّدق أم ليس له؟ وإذا كان يقرأ فِكْراً (أو يسمعه) أهذا الفِكر (أو الرأْيُ) له مجال فى الصِّحة أم ليس له؟

- لذلك.. لأن ثلاثين بالمئة تقريباً، من أخبار التَّاريخ، والرِّوايات التى تُساق عن الأحداث الصَّغيرة والطَّرائف «كاذبة» (والكذب فى التفاصيل أكثر من الكذب عن الصورة العامَّة للخبر) - وإنما كذلك، بسبب تلبُّس الهوى والرَّغبة بها، وبروايتها.

- والهدف الثانى.. أن يصل المتلقى إلى «رُويَّةٍ» مُفادُها: أن العرب هم عربٌ أقحاح من الجزيرة العربيَّة، منذ عُصور ما قبل التَّاريخ. وليس لهم أيُّ علاقة بخُرَافة «السَّامِيَّة».

- وأن اللُّغة العربيَّة الشريفة، لغة القرآن الكريم.. ليس لها علاقة بخُرَافة السَّامِيَّة، وإنما هى لغة «ألهمها» الله تعالى العرب، فى شمال الجزيرة العربيَّة «إلهاما، ولم ينتجها البشرُ/ العربُ بالتَّواضع. ألهمهم.. أصولها التى لا تتغيَّر - التى يُبنى منها كل ما يأتى من فروع تتنامى مع الأيام.

- مِصْدَاقُ ذَلِكَ، وَأَدْلَتُهُ فِي الْبَحْثِ الثَّلَاثَةِ - الَّتِي قَامَ عَلَيْهَا الْقِسْمُ الثَّانِي - الَّتِي أَوْضَحْتُ فِيهَا (لِأَسْبَابِ كَثِيرَةٍ) أَنَّ هَذِهِ اللَّغَةَ الْفُصْحَى هِيَ إِلْهَامٌ، لَا مَوَاضِعَةٌ وَاصْطِلَاحٌ. وَقَدْ نَشَرْتُ هَذِهِ الْبَحْثَ فِي مَجَلَّةٍ (هَدَى الْإِسْلَامَ) - كَمَا أَشْرْنَا فِي الْهَامِشِ أَنْفَا.

- فِي الْقِسْمِ الْأَوَّلِ.. (بَعْدَ بَحْثِ السُّكَاكِينِي الَّذِي أَشْرْنَا إِلَيْهِ، أَنْفَا) كَانَ التَّعْلِيْقُ عَلَى نَظْرِيَّةٍ - نَحْوَمِ تَشْوِمُسْكِي - وَالتَّقْرِيرُ بِأَنَّ زُبْدَتَهَا وَرَدَتْ عِنْدَ الْإِمَامِ عَبْدِ الْقَاهِرِ الْجَرَجَانِي، مِنْ عُلَمَاءِ الْقَرْنِ الْخَامِسِ (ت - ٤٧١)، وَعِنْدَ الْمُفَكِّرِ الْمَعْرُوفِ ابْنِ خَلْدُونَ، مِنْ عُلَمَاءِ الْقَرْنِ الثَّامِنِ (ت - ٨٠٨)^(١).

- ثَمَّ.. عَرَّجْتُ عَلَى الْكِتَابِ الَّذِي عَرَّضَ نَظْرِيَّةَ تَشْوِمُسْكِي، فِي اللَّغَةِ، وَلَمْ يُنَبِّهْ مُؤَلِّفُهُ إِلَى سَبْقِي هَذَيْنِ الْعَالَمِينَ الْمُسْلِمِينَ - هَذَا الْمُوَلِّفَ الْغَرْبِيَّ «وَصَاحِبُ الْكِتَابِ الَّذِي عَرَّضَ النَظْرِيَّةَ هُوَ - الْمَرْحُومُ الدَكْتُورُ خَلِيلُ أَحْمَدَ عِمَايِرَةَ - وَعَنْوَانُ كِتَابِهِ (فِي نَحْوِ اللَّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ - وَتَرَكَيبِهَا) وَقَدْ وَجَدْنَا فِيهِ بَعْضَ مَا لَمْ نَرُضْ عَنْهُ فِي بَابِ اللَّغَةِ الْفُصْحَى (وَاللُّغَاتِ عَامَةً)، وَبَابِ الْفِكْرِ اللَّغَوِيِّ، وَسَتَجِدُ مَلَاْحِظَاتِنَا عَلَى هَذَا الْكِتَابِ، فِي الْمَقَالَةِ الثَّانِيَّةِ، عَلَى أَنَّ مُؤَلِّفَ الْكِتَابِ.. اجْتَهَدَ، وَقَدَّمَ نَظْرَاتٍ كَثِيرَةً صَائِبَةً.

- وَفِي الْمَوْضُوعَاتِ الثَّلَاثَةِ الْأُولَى مِنَ الْقِسْمِ الثَّانِي جَلَّيْتُ فِيهِ مَقُولَةً قَدِيمَةً، وَهِيَ أَنَّ الْفُصْحَى «إِلْهَامِيَّةٌ» بَيِّدَ أَنَّ الْقَدَامِي - رَحِمَهُمُ اللَّهُ - لَمْ يُدَلِّلُوا عَلَى ذَلِكَ. سِوَى بِالْآيَةِ الَّتِي تَقُولُ: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾﴾ [البقرة: ٣١] فَأَعَانَنِي اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْقِيَامِ بِهَذِهِ الْمَهْمَةِ، تَحْلِيلًا وَتَدْلِيلًا.

- وَفِي الْقِسْمِ الثَّلَاثِ.. تَنَاوَلْتُ سَبْعَ كَلِمَاتٍ، جَعَلْتُ تَحْلِيلِي اللَّغَوِيِّ الْفَقْهِيَّ لَهَا.. دَلِيلًا عَلَى عِبْقَرِيَّةِ اللَّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْفُصْحَى، فِي بَابِ الْأَشْتِقَاقِ - وَتَوْلِيدِ الْمَعَانِي. وَهَذِهِ الْكَلِمَاتُ هِيَ الْآتِيَةُ: فَرَجٌ - سَرَزٌ - لَقِحٌ - شَمَّتٌ - طَاحٌ - عَنَدٌ - مَقَلٌ.

- وَفِي الْقِسْمِ الرَّابِعِ.. نَظَرْنَا فِي كِتَابِ (اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَالتَّعْرِيْبِ) فِي مَقَالَتَيْنِ: الْأُولَى - قَدَّمْنَا فِيهَا بَعْضَ الْأَفْكَارِ الَّتِي لَا تَتَّفَقُ مَعَ أَفْكَارِ الْكِتَابِ الْمُشَارِ إِلَيْهِ، وَالثَّانِيَّةُ - عَرَّضْنَا فِيهَا لِبَعْضِ مَا رَأَيْنَاهُ لَا يَتَّفَقُ مَعَ فَصَاحَةِ الْعَرَبِيَّةِ، مَعَ إِكْبَارِنَا لِصَاحِبِ الْكِتَابِ. وَفِي مَقَالَةٍ ثَالِثَةٍ.. تَنَاوَلْنَا مُعَاظِمَاتٍ - وَرَدَدْنَا عَلَيْهَا.

(١) أَفْرَدْتُ كِتَابًا فِي اللَّغَةِ بَيْنَ ابْنِ خَلْدُونَ وَالجَرَجَانِي - وَبَيْنَ نَاعُومِ تَشْوِمُسْكِي - يَطْبَعُ فِي - دَارِ الْمَعَارِفِ / الْقَاهِرَةِ.

بالدليل - «قدمها» كاتب لم يُعرف عنه التفقه في اللغة - وكان قد أرسل القول فيها إرسالا، مُعترضاً فيها على ما كنت أكتبه لسنة ونصف من مقالات في (فقه اللغة) تحت عنوان (اللغة والحياة) في جريدة (الدستور) وكنت أتوخي أن استبصر في الاستعمال اللغوي، وأن أقدم في كل كلمة أعالجها شيئا جديدا لم يرد في الكتب، والحق - عندي - أن الذي يُلقى - أحكاما - بلا دليل إنما هو جاهل عامي العقل، أو مُعرض يريد أن يُشوّش على الآخرين، ليس أكثر، حسدا من عند نفسه، وقصورا عن بلوغ مرتبة المُبدعين.

- ثم.. في مقالة رابعة.. صححت (أو عدلت) ما ورد من أفكار غير دقيقة، يغلب عليها الأحكام العامة التي تجانب الاستقراء الذي، إذا أخذ به، يضع الأشياء في نصابها، ويُعدل الأحكام العامة التي لا تلتفت ذات اليمين، وذات الشمال لترى أن هناك أشياء أخرى.. يجدر أن يُنظر إليها، وأن يكون لها اعتبارها في النظر، إلى جانب ما هو بؤرة التحديق - أصلا.

- ويجدر بنا أن نُولى الملاحظات الثلاث الآتية العناية الكافية :

١ - كلمة (ابن) تكتب، وفي أولها ألف أينما وقعت. وقد عللنا لذلك في هامش البحث.

٢ - عَمَرُ: كتب دون (واو) أينما وقعت، ويُفَرَّقُ بينها وبين عَمَرَ بفتحة على العين، وضمة على عين عَمَرَ. وقد عللنا لذلك خلال البحث.

٣ - (ماء وسماء واستفتاء) وما شابهها تكتب، بعد الهمزة، ألفا عليها تنوين فتح في حالة نصبها (من غير (أل) التعريف ولا إضافة). فهي لا تختلف عن (باعا، كتابا، إحسانا) إلخ.. لأن الهمزة ليست ألفا وإنما هي حرف صامت كالعين في - باعا - والباء في - كتابا - والنون في - إحسانا.

وهذه الحالات الثلاث جزء من دعوة للإصلاح الإملائي وتبسيطه - الإصلاح الذي يجب أن ينسحب على كل وضع شاذ ليس لشذوذه علة مُعتبرة.

وختاما: لقد حاولتُ جهدي ألا أتكئ على الآراء الجاهزة والأقوال المُعادة، وإنما أُضيف جديدا إلى ما سبق من آراءٍ وأقوالٍ.

ومن البيديهي أن أكون قد عثرتُ أحيانا، ولكن تصويب هذه العثرات إنما هي مسؤولية المُبدعين من النقاد اللغويين الآخرين، وليس المقلدين، فكما خطأتُ الآخرين قليلا..

فأنا أتقبلُ بصدورِ رَحْبٍ تخطيطُة الآخريِن لى - على أن تكون التخطيطُة، ليست تقوم على (الجُزاف) وإنما تقوم على التحليل والتعليل، والإنصاف.

• - والله المُستعان، وهو مالك الأمر والشأن.
فرغْتُ من إعدادهِ فى ١١ / شوال: ١٤٢٤هـ / ٧ / ٢٠٠٣م
- وكانت طبعته الأولى فى:

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

عنوان المؤلف

عمان / مرج الحمام / مكتبة (أم القرى)

هـ - ٥٧١١٠٤٨

هـ - ٠٧٩/٦٤٨٠١٥٥

الإيميل:

.Dr.Awdat - Allah@.Yahoo.com